الحجُّ والعمـرة

الحجُّ والعمرة

الرحلة إلى الله، رحلة الحج، لله ما أحلاه من ضجيج، صوت إبل وخيل الحجيج .

عن ابن عمر - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ قال : « ما ترفع إبل الحاج رجلًا ، ولا تضع يدًا إلا كتب الله تعالى له بها حسنة ، أو محا عنه سيئة ، أو رفعه بها درجة »(١) .

على قدر الخطوات كتب الحسنات ومحو السيئات .

وقال ﷺ : « ما من مسلم يلبي ، إلا لبّى ما عن يمينه وشماله من حجر ، أو شجر ، أو مدر ، حتى تنقطع الأرض من هاهنا وهاهنا »(٢) .

إذا لَبّى لبت الأحجار والمدر والأشجار ، فهذا جزاء عاجل لو عقله ، فكيف بالآجل .

هذه الأحجار التي سعدت بمرور أقدامه عليها ، والأشجار والمدر تشهد له .

قال المناوي :

« حتى تنقطع الأرض من هاهنا وهاهنا » : أي من منتهى الأرض من جانب الشرق إلى منتهى الأرض من جانب الغرب ، يعني يوافقه في التلبية كل رطب ويابس في جميع الأرض . قال ابن العربي هذا حديث وإن لم يكن صحيح السند فإنه ممكن . يشهد له الحديث الصحيح في المؤذن ، وفيه تفضيل لهذه الأمة

---

(١) حسن : رواه ابن حبان في صحيحه ، والبزار والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن عمر ، وقال المناوي : فيه من لا أعرفه . وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم ٥٤٧٢ .

(٢) صحيح : رواه الترمذي ، وابن ماجة ، والحاكم في المستدرك عن سهل بن سعد ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم ٥٦٤٦ .

لحرمة نبيها ﷺ ، فإن الله أعطاه تسبيح الجماد والحيوان معها كما كانت تسبح مع داود عليه السلام ، وخصّ داود بالمنزلة العليا أنه كان يسمعها ويدعوها فتجيبه وتساعده[١] .

وقال ﷺ : « أما خروجك من بيتك تؤم البيت الحرام ، فإن لك بكل وطأة تطؤها راحلتك يكتب الله لك بها حسنة ، ويمحو عنك بها سيئة . وأما وقوفك بعرفة ، فإن الله عز وجل ينزل إلى السماء الدنيا ، فيباهي بهم الملائكة ، فيقول : هؤلاء عبادي ، جاءوني شعثًا غبرًا من كل فج عميق ، يرجون رحمتي ، ويخافون عذابي ، ولم يروني ، فكيف لو رأوني فلو كان عليك مثل رمل عالج أو مثل أيام الدنيا أو مثل قطر السماء ذنوبًا ، غسلها الله عنك . وأما رميك الجمار فإنه مدخور لك ، وأما حلقك رأسك ، فإن لك بكل شعرة تسقط حسنة ، فإذا طفت بالبيت خرجت من ذنوبك كيوم ولدتك أمك »[٢] .

والحجر الأسود يشهد لِمَسِّك إياه :

عن ابن عباس مرفوعًا : « إن لهذا الحجر لسانًا وشفتين يشهد لمن استلمه يوم القيامة بحق »[٣] .

وقال ﷺ : « ليأتين هذا الحجر يوم القيامة له عينان يبصر بهما ، ولسان ينطق به ، يشهد على من استلمه بحق »[٤] .

---

(١) فيض القدير (٥ / ٤٩٩) .

(٢) حسن : رواه الطبراني في الكبير عن ابن عمر ، وابن حبان في صحيحه ، والبزار وحسّنه الألباني في صحيح الجامع رقم ١٣٧٣ .

(٣) إسناده صحيح على شرط مسلم . قال ابن حجر في الفتح (٣ / ٥٤٠) : رواه ابن خزيمة ، وصححه ابن حبان والحاكم .

(٤) صحيح : رواه البيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس ، ورواه ابن ماجة وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم ٥٢٢٢ .

وقال ﷺ : « والله ، ليبعثنه الله يوم القيامة - يعني الحجر - له عينان يبصر بهما ، ولسان ينطق به ، يشهد على من استلمه بحق »[(١)] .

من مات في الحج :

قال رسول الله ﷺ : « اغسلوه بماء وسدر ، وكفنوه في ثوبين ، ولا تُمِسُّوه طيبًا ، ولا تخمِّروا رأسه ، ولا تحنطوه ، فإن الله يبعثه يوم القيامة ملبيًّا »[(٢)] .

مات في الحج ملبيًّا فكذا يبعث ملبيًّا ، ومن كان بحالة لقي الله بها ، والجزاء من جنس العمل .

عرفات ، من تواضع لله رفعه :

قال رسول الله ﷺ : « إن الله يباهي بأهل عرفات أهل السماء ، فيقول لهم : انظروا إلى عبادي هؤلاء جاءوني شعثًا غبرًا »[(٣)] .

وقال ﷺ : « إن الله تعالى يباهي ملائكته عشية عرفة بأهل عرفة ، يقول : انظروا إلى عبادي أتوني شعثًا غبرًا »[(٤)] .

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدًا ، أو أمةً من النار ،

---

(١) صحيح : رواه الترمذي عن ابن عباس ، ورواه ابن خزيمة وابن حبان ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم ٦٩٧٥ .

(٢) رواه : أصحاب الكتب الستة وأحمد في مسنده .

(٣) صحيح : رواه ابن حبان في صحيحه ، وصححه الحاكم ، والبيهقي في سننه ، وأحمد ، وابن خزيمة ، وأبو نعيم في الحلية عن أبي هريرة ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم ١٨٦٣ .

(٤) صحيح : رواه أحمد في مسنده ، والطبراني في الكبير عن ابن عمر وصححه السيوطي والألباني في صحيح الجامع رقم ١٨٦٤ .

من يوم عرفة ، وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول : ماذا أراد هؤلاء ؟ »[1] .

أتوا إلى ربهم بشعثهم وغبارهم فرحم الله ذلهم ، ذلت منهم الجباه والرقاب ، أتوا إلى الله بتواضعهم وذنوبهم ، فباهى الله بهم الملائكة وغفر عيوبهم.

والجزاء من جنس العمل .

ولله ما أحلى ترنيمة محمود حسن إسماعيل مع خطا الهائمين شوقًا لعرفات:

يا مجُيبَ الدعواتِ جئتُ أُزْجِي صلواتي
ضارعًا تخشع عيداني .. وتجْشُو نغماتي
وتُناديك صَباباتي بكلّ اللهجاتِ
إن تَلَفتُّ فمنك النور يَطْوِي لفتاتي
أوْ تهامسْتُ أحسُّ النورَ يغزو هَمَسَاتي
وأنا أدعو .. أرى الأنوارَ تُرْدِي كلماتي
وإذا أصمُتُ ، يدعوُ كلُّ شيءٍ في حياتي
نشوةُ الإيمانِ بحرٌ زاخرٌ بالرحمات
وجِنانٌ في فضاء النّفسِ خُضْرُ الربواتِ
تصدَحُ الأحلامُ فيها كطيور ناغماتِ
ويفيضُ الطهرُ منها كعُيون جارياتِ
وتَعُبُّ الروحُ منها كلَّ أطيابِ الحياةِ

* * *

ذلكَ الضَّاربُ في ليلٍ وضيء الظلماتِ
مَزّقَ الشوقُ حناياه لِطَيْفِ المَغْفِرَاتِ
غَنَّتِ الحُبَّ لياليهِ وجُنَّتْ بالغداة

---

(١) رواه مسلم والنسائي وابن ماجة .

وتلاشت في صداهُ كهزيجِ الساقياتِ !!
ظامِئٌ للنُّورِ ملهوف الحشا والنظـراتِ ..
أرأيتَ الطيرَ في دَعْوتِها للربَـواتِ
أرأيتَ الريح في هبَّتِها بالفَلَـوات
أرأيت الحُلْمَ في صَحوة جفنٍ مِنْ سُبَاتِ
هكذا ينفُضُه الوجد لرؤيا عرفات !
والهًا يشتاق في واديه بعض الخُطواتِ !
يتمنى لو تكونُ الروحُ ذَرَّ الحَصَيَاتِ
وتكون النفس هَمْسًا حائمًا بالشُّرفاتِ ..
أيها النور ... سلامًا قُدُسيَّ النفحاتِ
تُربُك الميمونُ قُدْسٌ شَاهِقيُّ الحُرماتِ
كل من مرَّ عليه مرّ مسحورَ السِّمَاتِ
هُرِع الناسُ إلى بابك من كل الجهاتِ
طَرحوا الدنيا وخفُّوا بقلوب نادماتِ
حُسَّرًا يمشون لله بأيدٍ ضارعـاتِ
وصدورٍ حانيات من عذابِ المعْصِياتِ
وقلوب جأَرَتْ أسرارُها بالتلبيـاتِ
وجفونٍ من ضياءِ الله دارت مُسْبَلاتِ
ونفـوسٍ قانتـات تائبـات عابـدات
ذائباتٍ في رحيق النور نشوى فانياتِ[١]

* * *

(١) مجموعة الأعمال الكاملة لمحمود حسن إسماعيل – الديوان الحادي عشر ، « صوت من الله » قصيدة الله والجبل ٤ / ١٧٣٩ .